(٢٦)

جلسة

كل شيء(١) مستعجل فى هذه الأيام متى وصل إلى البرلمان ! كأن قوة خفية عنيفة تدفع سادتنا الوزراء والنواب والشيوخ إلى أن يمضوا أمامهم مسرعين ، لا يقفون عند شيء ، ولا يلوون على شيء ، ولا يتفكرون فى شيء ..!!

فمن أحب منهم أن يتفكر أو يتدبر أو يصطنع الأناة ، فهو كليل حسير ، قد فقد أسباب السبق ، وعجز عن إتمام الشوط ، فلابد من أن يتخلف ، ولابد من أن يرد عن المضى فى الطريق . ولعل هذه السرعة فى العمل ، وهذا الميل إلى خطف الأعمال خطفا ، كما يخطف الناس خطفا

---

(١) ١٣ — ٤ — ١٩٣٣ عدد ٢٣٦٣

غرض من الأغراض التى من أجلها استحدث رئيس الوزراء الانقلاب الدستورى الخطير منذ أكثر من عامين ... !

فللأناة منافعها ، وللتفكير فوائده . ولكن الأناة فى الأعمال العامة تكشف فى أكثر الأحيان عن تقصير وشر كثير ؛ والتفكير فى الأعمال العامة يظهر أشياء لابد من أن تخفى ، ويجلو أمورا لابد من أن تظل غامضة .

والتفكير والأناة يؤديان فى أكثر الأحيان إلى ما لا يحمد ولا يحب . فمن يدرى أى شىء كان يحدث لو لم يخطف رئيس الوفد من قنا ؟ ومن يدرى أى شىء كان يظهر لو لم تخطف ميزانية وزارة الأشغال من مجلس النواب أمس ؟ لنصطنع إذن الأناة والروية فى أعمالنا الخاصة ، فلا نقدم على شىء حتى نقتله بحثا ودرسا وتفكيرا . فأما الأعمال العامة فلنمسها مسا رفيقا ، ولنمر عليها مرا سريعا ، ولنخطفها خطفا لبقا بديعا ! وكذلك تجرى أمورنا على وجهها ، لا يظهر فيها عيب ، ولا يتبين فيها فساد واضطراب .

وكذلك نقيم الدليل على أن الأمة تحب الحكومة ، وتتولاها بالود والنصح والإخلاص حين نخطف منها رئيس الوفد خطفا ، أو نلقى بينها وبين رئيس الوفد حجابا كثيفا من الجند الكثيف .

وكذلك نقيم الدليل الواضح والبرهان القاطع على أن وزارة الأشغال قد بلغت الكمال وحققت الآمال حين تعرض ميزانيتها على مجلس النواب ، وتأخذ هذا المجلس بأن ينظر فيها ويناقشها ويقرها ويتخفف منها فى جلسة واحدة ، لا تزيد عن ساعتين أو عن ساعات .

وكذلك يشهد العالم المتحضر بأن الانقلاب الدستورى الذى أحدثه صدقى باشا قد آتى ثمره حلوا شهيا ! فأقام فى مصر إدارة منظمة حازمة سريعة لبقة ! وأقام فيها برلمانا متقنا فطنا بصيرا حريصا على مصالح الأمة ، دقيق الإشراف على ما ينفق من أموالها ، سريعا على ذلك كله سرعة

لا تعرفها البرلمانات الأوربية التى بعد عهدها بالحياة النيابية ، والإشراف على أعمال الحكومات ... !

قدمت الحكومة منذ حين إلى مجلس النواب قوانين الجامعة ، واستعجلت نظرها ، فتعجل المجلس نظرها وأقرها فى أقل من ساعة ! وقدمت الحكومة منذ حين إلى مجلس النواب قانون التخصص فى الأزهر وتعجلت نظره ، فأسرع المجلس فى ذلك وفرغ من القانون فى جلستين ! وقدمت الحكومة أمس إلى مجلس النواب ميزانية وزارة الأشغال وتعجلت نظرها ففرغ منها المجلس فى جلسة واحدة !!

وفى قوانين الجامعة مستقبل التعليم الحديث كله فتنظر فى أقل من ساعة. وفى قانون التخصص مستقبل التعليم الدينى كله فينظر فى جلستين . وفى ميزانية وزارة الأشغال أكثر من ستة ملايين من الجنيهات وفيها خزان جبل الأولياء ، وفيها مستقبل الرى ، وفيها مرافق أقل ما توصف به أنها تمس حياة الأمة فى أدق فروعها فتنظر هذه الميزانية ويقرها المجلس فى جلسة واحدة! ويقال بعد ذلك إن الانقلاب الدستورى الذى أحدثه رئيس الوزراء لم يحقق منفعة مصر ، ولم يصن مصالحها كلها من العبث ، ولم يعصم منافعها من الضياع . اللهم جنبنا العناد فى الحق ووفقنا إلى الإيمان بالخير .. !

ماذا تبتغى مصر أكثر مما وصلت إليه ؟ هذه قوانينها تشرع فى دقائق. وهذه ميزانياتها تقر فى ساعات ، وهذه وزارتها تستمتع بثقة البرلمان ، وهذه إدارتها تستأثر بحب الناس جميعاً . كل شىء يجرى على وجهه مستقيما لا عوج فيه ولا اضطراب ، فماذا نريد ؟ وماذا نبتغى ؟ وما لنا لا نرضى؟

ولكن ما هذه الأزمة التى أثيرت أمس فى مجلس النواب ؟ وما بال فريق من النواب قد أخذهم هذا الغضب المتأخر فسخطوا وطالما رضوا ، وثاروا وطالما هدؤا واستقروا . وخرجوا من الجلسة وطالما لزموا كراسيهم لزوم الغريم ؟

زعموا أن هؤلاء السادة كانوا فى قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ، رفعوا إلى مجلس النواب استجوابا عن خزان جبل الأولياء فأهمل ثم أجل ليرد عليه رئيس الوزراء حين يمن الله عليه بالشفاء . فلما كان أمس ، وجاءت ميزانية الأشغال أرادوا أن يؤجلوها كلها أو بعضها حتى يكون الاستجواب وتكون المناقشة فيه ، فضاق بهم وزير الأشغال ، وضاق بهم رئيس المجلس ، وضاقت بهم كثرة المجلس نفسها ، وظهر لهؤلاء السادة أنهم مبطئون والدنيا من حولهم مسرعة ، وأنهم مقصرون والدنيا من حولهم مشمرة ، وأنهم يريدون الجد ، والدنيا من حولهم تؤثر الهزل . وما هذا الجد الذى جاء بعد إبانه وتأخر عن أوانه ؟

ظن هؤلاء السادة أن الوزارة كانت جادة حين طلبت تأجيل الاستجواب ، وقد قيل لهم مع ذلك إن الوزارة إنما تؤجل لتخرج بهذا التأجيل من التأويل والتعليل ، ولترجىء هذا الاستجواب إلى الفصل الذى ينضج فيه التين والعنب كما يقول الشاعر القديم . فلما أحس هؤلاء السادة ضيق الوزير والرئيس والكثرة ، غضبوا واحتجوا وانصرفوا ! فماذا كان ؟ دار الفلك كما يدور ، ومضى المجلس كما كان يمضى ، وانتهى إلى أقصر الشوط ، وأقرت الميزانية وفيها خزان جبل الأولياء ، وسيعود النواب المحترمون مساء اليوم إلى المجلس كأن لم يكن شيء بالأمس ، وقد برئت ذممهم ، ورضيت ضمائرهم ، ولم لا ؟ لقد غضبوا وأنكروا ، وخرجوا وامتنعوا من إقرار ما لم يكونوا يريدون . ما أسهل هذه البراءة وما أيسر هذا الرضى ، وما أسهل أسباب الفكاهة واللعب فى مصر !

ثم ينهض وزير الأشغال فيعلن أنه كان يرى فى الخزان رأيا ، ثم بدا له فرأى فيه رأيا آخر . وكان ينكره فأصبح يكبره ، وأى حرج فى ذلك ؟ وأى بأس ؟ كل شيء يدور حتى الحق والباطل ، وحتى الخطأ والصواب ، وحتى الرفض والقبول . وسواء أرضى وزير الأشغال عن الخزان أم غضب عليه فسيقام الخزان ! لقد قبله مجلس النواب منذ عام ، وأقر له

الأموال أمس . ليغضب وزير الأشغال وليرض ، كما غضب النواب ورضوا فلن يغير ذلك من الأمر شيئا . ويأبى الله إلا أن تكون فى المجلس فكاهة أمس ، فقد اعترف وزير الأشغال فى صراحة ظريفة بان وزارته لم ترسم لنفسها سياسة بعد ! وإذن فهى لا تستطيع أن تقدم هذه السياسة إلى المجلس ، لأنها لا تحب أن تقدم إليه إلا الكامل الشامل الذى قد يكمل غداً أو بعد غد . ولكنه سيكمل بعد أن يتم إقرار الميزانية على كل حال .

ويؤخذ الرأى على الميزانية جملة ، ولم تناقش تفصيلاتها ، فإذا أنكر النواب غضب الرئيس ، وإذا غضب الرئيس وجب أن يرضى النواب ، وإذا رضوا فمرت الميزانية كما يمر البرق . قالت الأهرام : « وكان الأعضاء الباقون خمسة وثلاثين عضوا » عدد يكفى ليقر أكثر من ستة ملايين ، ثم يزعم المصريون أن أمورهم لا تجرى على ما يحبون . وهل إلى ما يحبون من سبيل ؟